

## دعوة الله للجميع

قبل مجيء المسيح بمئات السنين تنبأ النبي إشعياء عن خلاص الله الذي سيُعلن لجميع الشعوب. فبعد أن تنبأ النبي إشعياء عن عبد الرب المتألم، وذبيحة الفداء التي سيقوم بها، نيابة عن البشر الخطاة، في الأصحاح الثالث والخمسين من سفره، إذا به يوجه لسان الله دعوة عامة إلى جميع البشر، وذلك في الأصحاح الخامس والخمسين من سفره. دعوة إلى جميع العطاش لكي يأتوا إلى المياه، وليشربوا ويأكلوا مجاناً، بلا فضة ولا ثمن خمرا ولبنا. "أيها العطاش جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشترُوا وكلوا هلموا اشترُوا بلا فضة ولا ثمن خمرا ولبنا. لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبدكم لغير شبع." (إشعياء ٥٥: ١ و٢) فمن هم العطاش؟ إنهم كل من أدرك أنه إنسان خاطئ، وبحاجة إلى غفران الله لذنوبه. وكل من تتوق نفسه وتعطش إلى البر، وتجوّع إلى خلاص الله.

لكن ما هي هذه المياه التي أنبأنا عنها النبي إشعياء؟ إنها بالطبع ليست مياه عادية، نحصل عليها من نبع معين. ولا هي مياه معدنية نذهب إليها لنشفى من بعض أمراض الجسد. لكنها مياه حية تروي النفس البشرية حقاً، وتملأ القلب من الداخل بالطمأنينة والهناء. ولقد أوضح لنا الرب يسوع المسيح عن طبيعة هذه المياه الحية، وذلك في لقائه مع المرأة السامرية عند البئر. هذا اللقاء الذي أخبرنا عنه البشير يوحنا في بشارته. فعندما فوجئت المرأة السامرية كيف يطلب منها المسيح ماء ليشرب، وهو غريب الجنس عنها، قال لها: "لو كنت تعملين عطية الله، ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً." (بشارة يوحنا ٤: ١٠) وهنا زاد استغراب المرأة السامرية فقالت له: "يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي؟" عندها أجابها المسيح قائلاً: "كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية." (بشارة يوحنا ٤: ١١-١٣ و١٤) فماذا قصد الرب يسوع المسيح بهذا الكلام؟ من البديهي أن الإنسان عندما يشرب ماء، فلا بد له أن يعطش مرة أخرى. لكن المسيح كان يقصد نوعاً آخر من المياه، المياه الحية، التي تروي الإنسان مرة واحدة، وإلى الأبد. لهذا قال للمرأة السامرية أن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية. أي إن هذه المياه الحية لا تروي الإنسان فحسب، بل إنها تتبع في داخله وتفيض. وهي لن تنضب إذ تستمر إلى الأبد.

إن المياه الحية إذن هي مياه الخلاص الكامل، مياه الغفران المجاني، مياه الروح القدس الذي يسكن في الإنسان، ويخلقه خليفة روحية جديدة، ويجعله من أولاد الله. ولهذا فإن من يحصل على هذه المياه فلن يعطش أبداً، وإلى الأبد. ولقد أكد لنا الرب يسوع

المسيح هذه الحقيقة، عندما قال في مناسبة أخرى: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي." (بشارة يوحنا ٧: ٣٧ و٣٨) وهنا علّق البشير يوحنا أن المسيح كان يتكلم عن الروح القدس، الذي لم يكن قد أُعطي بعد. فهل هناك أعظم من هذه العطية التي يقدمها لنا المخلص الرب يسوع المسيح؟ مع العلم أنها معروضة، لا بل مقدمة لنا مجاناً وبلا ثمن أو فضة. ولقد شبّه النبي إشعياء هذه المياه الحية بالخمير واللبن ومع هذا فهي مجانية. وليس هذا فحسب، بل هي مياه تروي النفس حقاً، على عكس كل محاولات الإنسان بالحصول على سعادته، من مصادر أخرى وبأسعار باهظة ومكلفة جداً.

ولنلاحظ أن الله من خلال النبي إشعياء دعا جميع العطاش بدون استثناء، دعاهم لكي يقبلوا ويشربوا مجاناً من هذه المياه الحية التي أعدها لهم. والعطاش هم أنا وأنت، وكل إنسان يقر ويعترف أنه خاطئ، وبحاجة إلى نعمة الله.

ثم تابع النبي إشعياء دعوته الموجهة إلى جميع البشر قائلاً: "أطلبوا الرب مادام يوجد ادعوه وهو قريب ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران." (إشعياء ٥٥: ٦ و٧) كانت هذه نبوءة واضحة عن خلاص الله الذي سيعلم لجميع البشر، وعن عصر المسيح المخلص الآتي. لقد أعد الله الخلاص، وذلك عندما أرسل المخلص يسوع المسيح لكي يفدي الإنسان، وهكذا صار خلاص الله متوفراً للجميع، وصار الله القدوس قريباً من البشر. وما على الإنسان كما دعا النبي إشعياء سوى أن يتجاوب مع دعوة الخلاص المجانية هذه، ويتوب عن شره. وعندها لا بد أن يمنحه الله الغفران الكامل عن ذنوبه. إن الله هو إله رحوم، وهو مستعد أن يهب الغفران، لكل من يتوب يؤمن بعمل الفداء الذي قام به المخلص يسوع المسيح.

ولقد تنبأ النبي إشعياء وفي هذا الأصحاح أيضاً عن الرب يسوع المسيح قائلاً: "هوذا قد جعلته شارعا للشعوب رئيساً وموصياً للشعوب. ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك." (إشعياء ٥٥: ٤ و٥) لقد جعل الله إذن الرب يسوع المسيح شارعا لكل الشعوب. أي المخلص الذي تلتنجى إليه كل الشعوب، لتجد عنده الخلاص والغفران وشريعة الله، والمعرفة الإلهية الحقّة. فهو الرئيس والملك الحقيقي، ملك الملوك ورب الأرباب. وهو كما ذكرنا قبل قليل المخلص معطي المياه الحية.

ولم تقف نبوءة إشعياء عند هذا الحد، بل تحدثت أن هذا المخلص الملك، سيدعو أمة جديدة لكي تتبعه، وأن أمة لم تعرفه في السابق ستركض إليه، أي تلجأ له. وهذه الأمة هي جماعة المؤمنين في المسيح، كنيسة المسيح الحقيقية، المؤلفة من كل الشعوب والأمم والقبائل والألسنة. أي من كل الأفراد الذين آمنوا بالمخلص الملك يسوع المسيح، واختبروا غفران الله وخلاصه المجاني الكامل.

قارئ العزيز، مازالت دعوة الله هذه من خلال النبي إشعياء موجهة إليك. لا بل إن الله كما لاحظت قد أعدّ لك الخلاص الكامل، عن طريق المخلص الملك يسوع المسيح، وعمله الكفاري على الصليب، وقيامته الظاهرة من بين الأموات. فلا ترد دعوة الله هذه لك، بل تجاوب معها بتوبتك وإيمانك. لتصبح واحدا من أولئك الذين شربوا من المياه الحية، واختبروا غفران الله، وصاروا من أولاده. والبداية تكون بأن تحس بالعطش، وتعتبر نفسك واحدا من العطاش، العطاش إلى البر وخلاص الله، والعطاش إلى المياه الحية التي تروي النفس حقا. وكما أوضح لنا الرب يسوع المسيح في مناسبة أخرى، أن الأصحاء ليسوا بحاجة إلى طبيب بل المرضى، وأنه لم يأت ليدعو أبرارا بل خطاة إلى التوبة. فإذا كان المرء لا يحس بعطشه، ولا يدرك حقيقة نفسه الخاطئة، فمن المستحيل عليه أن يأتي إلى الله، طالبا المغفرة، وراجيا أن يروي نفسه من ماء الحياة الذي يهبه. فهل تتجاوب ودعوة الله المجانية لك؟